

العنوان: من هو مصداق اللانهائية؟ وهل هناك إجابة لرغبة الإنسان في اللانهائية؟

من هو مصداق اللانهائية في العالم؟ وما هو الشيء الذي نعشقهُ؟

كم تحتاج من المليارات لتحقيق كل أمنياتك؟ قد تتجسد سلسلة من الأمنيات في ذهنك عندما تفكر في هذا الاستفسار. ولكن، هل يوجد يا ترى حدٌ لهذه الأمنيات؟ أو أنه ما إن تم وضع نقطة في نهاية الفهرس إلا وظهرت آمال وأمنياتٌ أخرى؟

يبدو أنه لا توجد نهاية لأمنياتنا في هذه الدنيا ولا يوجد مصداق لأمنياتنا اللانهائية. إذن لاداعي لإثبات أنّ الإنسان يطلب اللانهائية دائماً إذ أنه يكفي لكلّ منا أن ينظر إلى نفسه وأمنياته لقبول هذا الواقع. إن الرغبة في اللانهائية توجد في كل شؤون حياتنا، إننا نريد الأفضلية في أي مهنة ندخلها، حتى ولو فزنا بميدالية ذهبية في الألعاب، سنفكر في تحقيق رقم قياسي جديد بالتأكيد. إن خيالنا في سعي دائم بين رغباتٍ لا يمكننا تصوّر نهاية لها. إذا لم يتم التحكّم في الرغبة اللانهائية ولم يتم وضعها في الطريق الصحيح نحو تحقيق المصداق الحقيقي لها فإنها سوف تصبح خطيرة للغاية. كما أثبتنا في المقالات السابقة، فإن طلب اللانهائية رغبة فطرية في البشر ونحن غير محدودين في هذه الرغبة. هذا يعني أن رغبتنا في السعي نحو الأفضل لن تتوقف أبداً. بالتالي، إذا لم تُوجه هذه الرغبة في الاتجاه الصحيح، فإنها إما أن تُضيّع حياتنا بالكامل في السعي لتحقيق أهداف جديدة طوال الوقت، أو أننا سنشعر بالملل والاكنتاب حتى بعد الوصول إلى أفضل ما يمكن الحصول عليه في العالم المادي. لذلك، السؤال الأهم في حياتنا هو: " ما هي الطريقة للوصول إلى تجسيد لامتناهٍ، أو بعبارة أخرى، ما هو مصداق اللانهائية في العالم، وكيف يمكننا الوصول إليه؟"

إتجاه خاطئ في طلب اللانهائية

نحن لانلومُ أحدًا بسبب الأكل أو الزواج أو الرغبة في الجمال، لأننا قد قبلنا أن هذه رغبات إنسانية طبيعية. ولكن عندما يأكل شخص ما أكثر من اللازم، أو لديه الكثير من الزوجات، أو يُخضع نفسه لعمليات التجميل عدة مرات لامتلاك وجه أجمل، فإننا لن نعتقد أن ذلك أمر مقبول.

على الرغم من أن كل من هؤلاء يتبعون رغباتهم فقط، فلماذا نعتقد أن إشباع الرغبات أمرًا مباحًا وطبيعياً تارة، و غير مقبولا و قبيحا تارة أخرى؟

صحيح أنّ جميع هذه الرغبات تنبع من وجود الإنسان ولكنها في الواقع لديها أصول مختلفة. إن الرغبة في تناول الطعام هي جزء من احتياجاتنا المادية للوجود الإنساني ومن الطبيعي تلبيتها بأشياء مادية. ولكن الخطأ هنا هو أننا قد اعتبرنا أن الرغبة في اللانهائية عند الإنسان مادية أيضا وقمنا بمحاولة تلبية هذه الرغبة بوسائل مادية، في حين أن هذا مستحيل بشكل أساسي.

لا يمكن للأرض بكل اتساعها وتنوعها في الكائنات والظواهر أن تلبّي رغبة الإنسان في اللانهائية، لأنّ هذا العالم هو مادّي ومحدودٌ ورغبتنا في اللانهائية لها أصل غير مادي وغير محدود، وهذا ما تقبله الفطرة السليمة أنّ المحدود لا يمكنه تلبية احتياجات اللامحدود.

إذا حصر الإنسان جهده في إشباع رغبته اللانهائية في إطار الدنيا وامكانياتها، فإنه لن يحصل على شيء سوى التعب والإرهاق، وطالما أنه لا يُشبع هذه الرغبة بطريقة صحيحة و من مسارها المخصص لها، فإنه لن يشعر إلا بالعطش الشديد إلى المزيد من الطلبات.

عقيدة خاطئة

قد قابلت أشخاصًا قد عاشوا في منطقة ما على أجيال متتالية، متأثرين جداً بأخلاق السكان الأصليين وسلوكهم وعاداتهم حتى أنهم يتحدثون بلهجتهم، ولكن ظاهرهم يصرخ أنهم ليسوا من أبناء

المنطقة. هذا ما ينطبق علينا نحن البشر أيضا. لقد عشنا على الأرض جيلا بعد جيل، واعتدنا على ظروف الحياة فيها، حتى نسينا بالكامل أن موطننا الأصلي ليس هو الأرض بل إننا ننتمي إلى مكان آخر وأن جذورنا ترجع إلى وجود لا نهائي ومن المقدر أننا سوف نرجع إليه في نهاية المطاف! إن رغبتنا في اللانهائية هي رغبة غير مادية، لكننا قد تعوّدنا على جسمنا المادي بحيث أننا لانتصوّر أنفسنا شيئا غير ذلك، ولذلك فإننا نحاول أن نلبي جميع احتياجاتنا وأمنياتنا عن طريق المادة. لقد نسينا أنه لا يوجد مصداق للانهائية في العالم المادي المحدود ولإشباع هذه الرغبة، لا بد أن نبحث عنها في عالم أكبر.

ازدهار الرغبة في اللانهائية

تصوّرا الفرق بين نبات الصبّار في صحاري قارة أمريكا وصبّار صغير خلف نافذة غرفتك. الصبّار هو نوع خاص من النباتات ينمو تلقائيا في القارة الأمريكية وقد تظهر على جوانبها أزهار جميلة. في ظل الظروف المناخية لتلك المنطقة قد يبلغ طوله إلى عدة أضعاف قامة الإنسان. ولكن، النبات الذي نحفظ به في مزهرتتنا هو نسخة صغيرة تعكس صورة مختصرة عن النبات الأصلي، ولو لم نملك معلومات عن تلك الناحية من الكرة الأرضية فإننا لن نتصوّر إمكانية نموّ نبات الصبّار أكثر من سانتيمترات و لم نعلم حتى أن هذا النبات قد يعطي أزهارا. عندما لا يكون الشيء أصليا في منطقة ما يمكن تمييزه بسهولة، إذ أنه يُظهر ميزاتٍ من نفسه تميّزه عن نظائره بوضوح. وقد يكون أيضا غير قادر على التكيف والتوافق مع البيئة الجديدة من عدّة منظورات، أو أن بعض ميزاته قد لا تبرز بشكل كامل أبداً. نحن البشر لا ننتمي إلى الأرض ورغبتنا في اللانهائية لا تنبع من كوننا سكان الأرض، بل إنها كانت موجودة في وجودنا بالفطرة، ولذلك فإنها لن تزدهر في ظل الإمكانيات الأرضية أبدا.

لو غفلنا عن رغبتنا في اللانهائية، فسوف نعتبر هذا العالم أنه غايتنا الأسمى، وسنحاول عندها إشباع هذه الرغبة بأن نكون الأفضل في كل شيء، وما إن نصل إلى نهاية ما كنا نبحت عنه حتى نقفز إلى فرع آخر. وطالما أن أصل رغبتنا اللانهائية وجذرها نشأ في "اللانهائية" منذ البداية، إذن فلا معنى لهذه الرغبة إلا في بيئة اللانهائية. تماما مثل الماء الذي هو الوحيد القادر على إرواء العطش، فلا يمكن تهدئة رغبة الإنسان في اللانهائية إلا باللانهائية وحدها.

الإثبات الشهودي لوجود كائن لانهايي أو الكمال المطلق

شرحنا في المقالات السابقة أنه توجد هناك رغبة في اللانهائية عند جميع البشر، وتناولنا هذه المسألة نظريا و منطقيًا، وبما أنّ هذه الرغبة فطرية وذاتية للبشر بأسرهم، فهم يبحثون عن الكمال المطلق ومطلق الكمال ويمكن إثبات ذلك عبر قوانين الأمنيات والطلب والتي شرحناها من قبل:

- إذا طلبنا شيئًا ما، فإنه موجود بالتأكيد.
 - هناك تناسب وتوافق بيننا وبين أمنياتنا.
 - توجد لدينا السعة لقبول ما نطلبه.
 - إننا جربنا المطلقة واللانهائية بالفعل، ولهذا نتمناها ونطلبها.
- وهذا ما يؤدي إلى معاناة الإنسان بسبب محدوديات الحياة على الأرض، لأنه دائمًا يطلب المزيد والأكثر من كل الامكانيات. الجميع يدرك هذا الأمر مع القليل من التفكير.
- العشق للكمال المطلق واللانهائي لا ينتج عن العلم والتعلم، وإنما هو أمر متأصل وفطري في الإنسان. بما أننا نحب الكمال المطلق ومطلق الكمال إذن فإننا كائنات لانهائية، لأن اللامتناهي فقط توجد لديه السعة لقبول اللانهائية ولا يمكن للمحدود طلب اللانهائية أبدًا.

مصدق اللانهائية في العالم

لا يمكن أن يكون مصداق اللانهائية الحقيقية من منظور العقل إلا واحداً، لأنه لو كان أكثر من واحد فسيكون محدوداً ولا يعود لانهاياً بعد. إننا نسمي هذا المصدق الواحد بـ«الله» والذي لا تكون لانهايته كامنة وبالقوة، إذ كون شيء "بالقوة" يعني امتلاكه القدرة على تحقيق الكمال الذي قد يزدهر. الكمال الكامن وبالقوة هو كمال ناقص ومحدود يسير نحو النمو، بينما الله سبحانه وتعالى ليس هكذا. إنه مصدر كافة الكمالات و يرجع ظهور كل شيء في العالم إليه. (سوف نتحدث في المقالات المتقدمة حول هذه القضية).

إن الله هو المعشوق الحقيقي لجميع البشر. حتى ولو لم تكن مؤمنين به من منظر الاعتقاد، إلا أننا جميعاً نطلب الوصول إليه في جميع لحظات حياتنا وتنبثق محاولاتنا وحركاتنا كافة من رغبتنا في اللانهائية أو الكمال المطلق. لا يوجد مصداق لتلك اللانهائية التي نعشق الوصول إليها إلا الله، إنه يجتد الحقيقة اللانهائية الموجودة وله كل الكمالات وهو غير محدود، ليس أكثر من واحد، وهو خالق جميع الكائنات الأخرى، وبما أن نفسنا قد نشأت من هذه اللانهائية، إذن فلديها الرغبة فيها وتبحث دائماً عن أصلها، ولن يهدأ لها بال حتى تصل إليها.

السعادة والسكينة الأبدية

تصدر الرغبة الإنسانية في اللانهائية من جانب "ما وراء العقل" من وجود الإنسان وتتبعه الأجزاء السفلى منه في هذه الرغبة، وفي الواقع فإن رغبة الإنسان اللانهائية لا تسبب له غير المتاعب إلا في الجانب ما وراء العقلي من وجوده. هذه الرغبة اللانهائية الكامنة في بقية جوانب الإنسان الوجودية تدفع الإنسان إلى التحول و الانتقال بشكل دائم من مسعى إلى آخر، مما يحرمه في النهاية من السعادة والسلام، كالطفل الذي يتضرع دوماً و لا يعرف ماذا يريد بالضبط. إهتمام الإنسان بجانب ما وراء

العقل من وجوده وإشباع رغبته في اللانهائية عبر اللانهائية المطلقة الحقيقية، هي الطريقة الوحيدة لجلب السكينة والهدوء لجوانب وجوده الأخرى. بالنتيجة فإن عودة السكينة والهدوء إلى الكيان الإنساني رهن استجابته الصحيحة للرغبة اللانهائية.

أكدنا في هذا المقال أنه لا توجد نهاية للرغبات الإنسانية، و بما أن شغف الإنسان باللانهائية له جذور غير مادية، لذلك فلن تتمكن الإمكانيات المادية في الدنيا تلبية هذا الشغف. وإذا تجلت هذه الرغبة اللامتناهية في أي من رغباتنا المادية، فإنها لن تؤدي إلا إلى حرماننا من السعادة والسلام. بالنتيجة، فإن إشباع الرغبة في اللانهائية يمكن فقط في بيئة لا نهائية و الإجابة الوحيدة المناسبة لرغباتنا غير المادية هذه، هي اللانهائية المطلقة.

لكل حاجة نشعر بها في أنفسنا إجابة أو مصداق خارجي يمكنه إشباع تلك الرغبة. فكما أن الجوع والعطش يمكن تليبيتهما عبر الماء والطعام، فإن رغبتنا في اللانهائية يتم اشباعها بمصداقها الخارجي، وهو الكمال المطلق والوجود الذي يدعى ب: "الله" و الذي حبه في قلوب الناس جميعا دون استثناء. ولكن، ما هو مصدر هذا الحب؟